

The Eastern Concept of “Other” from the Western Perspective of “Self” in the Novel *Sabaq Al-Masafat Al-Tawila* by Abdul Rahman Munif

Hadi Nazari Monazam*

Kobra Roshanfekar**, Mohammad Rajabi***

Abstract

In the 1980s, a new approach emerged that focused on cultural, political, and historical research. This appearance in the scientific arena paved the way for a new approach to removing virtual barriers in relevant studies and later named the post-colonial approach. Undoubtedly, the “east” and “west” concepts are the main elements of post-colonial discourse, and in this regard, the confrontation between the east and the west, although not geographically-based, has a civilizational basis. The novel *Sabaq al-Masafat al-Tawila* (The Endless Marathon) is the sixth novel by Abdul Rahman Munif to address human and Arab society issues and the post-colonial era. Here, the author points to the western domination over the eastern countries and access to oil resources of these countries, and depicts the strategy of the west towards the east. Using a descriptive-analytical method and through the post-colonial reading of the mentioned novel, this study aims to explain the powerful ideology of western colonialism towards the east, and the western approach to describing and disregarding the east. Among the results of this study, one can point to the continuation of the negative view of the eastern concept of “other”, serious efforts of the western concept of “self” to plunder the wealth of the east and expand its domination over them, the

* Associate Professor, Tarbiat Modares University, Tehran, hadi.nazari@modares.ac.ir

** Associate Professor, Tarbiat Modares University, Tehran, Iranroshan@modares.ac.ir

*** M.A. Graduate, Tarbiat Modares University, Tehran (Corresponding Author),
mohammadrajabi19927@gmail.com

Date received: 20/02/2020, Date of acceptance: 07/06/2020

Copyright © 2010, IHCS (Institute for Humanities and Cultural Studies). This is an Open Access article. This work is licensed under the Creative Commons Attribution 4.0 International License. To view a copy of this license, visit <http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/> or send a letter to Creative Commons, PO Box 1866, Mountain View, CA 94042, USA.

٢٨٨ آفاق الحضارة الإسلامية، السنة ٢٣، العدد ١، ربيع و صيف ١٤٤٢ - ١٤٤١ هـ.ق

lack of any positive and constructive consequences and culturalization based on respect and justice.

Keyword: Post-colonial, East, West, Abdul Rahman Munif, Sabaq Al-Masafat Al-Tawila.



الآخر الشرقي من منظور الأنا الغربية

في رواية سباق المسافات الطويلة لعبد الرحمن منيف

هادي نظري منظم*

كبرى روشنفكر**، محمد رجبى***

الملخص

برز في ثمانينيات القرن الماضي حقل معرفي جديد يهتم بالبحث الثقافي والسياسي والتاريخي معاً، ضمن توجه جديد يؤكد على تداخل ميادين المعرفة بإزالة الحواجز الافتراضية بينها، أُصطلح عليه بالدراسات ما بعد الكولونيالية (أو ما بعد الاستعمارية). إنَّ الشَّرق والغرب يعدّان من المباحث الأساسية للخطاب ما بعد الكولونيالي؛ فالتقابل بين الشرق والغرب وإن كان له أساس جغرافي إلاَّ أنَّه تقابل حضاري. تعدّ رواية سباق المسافات الطويلة هي السادسة بين روايات عبد الرحمن منيف تتناول القضايا الإنسانية والمجتمع العربي، ومعالماً ما بعد الكولونيالية، حيث إنَّ الراوي يشير إلى سيطرة الغرب على الدَّول الشرقية وحصوله على المصادر التفطية في هذه البلاد، ويصوّر نظرة الغرب إلى الشرق. وهذا البحث ضمن المنهج الوصفي - التحليلي ومن خلال قراءة ما بعد كولونيالية للرواية المذكورة،

* أستاذ مشارك، بجامعة تربيت مدرس، ايران، hadi.nazari@modares.ac.ir

** أستاذة مشاركة، بجامعة تربيت مدرس، kroschan@modares.ac.ir

*** ماجستير بجامعة تربيت مدرس (الكاتب المسؤول)، mohammadrajabi19927@gmail.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٨/١٢/٠١، تاريخ القبول: ١٣٩٩/٠٣/١٨

يهدف إلى الكشف عن ايدئولوجيات المستعمر الوافد إلى الشرق وبيان نظرتة إليه ووصفه له وعدم إعطائه صوتاً. ومن نتائج البحث يمكن الإشارة إلى استمرار عملية التثويه السلي للآخر الشرقي، ومحاولة الأنا الغربية الجادة لنهب ثروات أهل الشرق وإحكام سيطرته عليهم في معزل عن التفاعل الإيجابي البناء والمتاقفة الطبيعية القائمة على الاحترام والانصاف.

الكلمات الرئيسية: مابعد الكولونيالية، الاستشراق، الشرق، الغرب، عبدالرحمن منيف، سباق المسافات الطويلة.

١. المقدمة

خلال ١٥٠ سنة من الحروب الصليبية «وقعت اشتباكات كثيرة. التقى خلالها الأوروبيون بالشرقيين طوال هذه السنوات عن كثب. إنهم شاهدوا مُدن الشرقيين ومستوطناتهم الكثيرة، وبهرت أموالهم وثرواتهم عيونَ الأوروبيين. من ناحية أخرى، بدأ عصر النهضة في أوروبا، يليها اندلاع الثورة الفرنسية. وظهر الملاحون شيئاً فشيئاً الذين يجتاحون البحار وهذا ساعدهم أكثر على أن يعرفوا العالم. وتطور العلوم والفنون ساعدهم أيضاً. هذه الأسباب والمكونات قد أدت إلى صناعة وإنتاج السلاح وتعاضم القوات البحرية والأرضية وبالتالي توفير كافة الامكانيات لنهب الثروات الطبيعية. وهكذا جرت منافسة شديدة في تقسيم الشرق واستعمارها» (موثقي، ١٣٧٤: ٩١) لذا فإن تقسيم العالم إلى الشرق والغرب فيه نوع من التشابك والخلط، سيما عندما يتعلق الأمر بالحضارة وأسسها ومقوماتها. كما أنّ الغرب مسؤول لحد كبير عن التخلف في الشرق بسبب السياسة الاستعمارية التي اعتمدها تجاهه. منذ أوائل القرن التاسع عشر مع اقتراح الشرق، تنافست الدول الأوروبية لتحديد مصير الإمبراطورية العثمانية وتقسيم الشرق وثوراته.

الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا أبداً؛ «يبدو أنّ هذه المقولة التي أطلقها الشاعر الإنجليزي روديارد كبلنغ في نهاية القرن التاسع عشر تحمل الكثير من معاني الحقيقة التي لا تقبل التغيير، وأنها تجسد واقع العلاقات بين الشرق والغرب لا في العلاقات والتقاليد

والموروثات الروحية والثقافية فحسب؛ وإنما تجسد حالة السياسة المتعارضة أيضاً. فقد كان الشرق القديم مختلفاً عن الغرب القديم ولا يزال الاختلاف قائماً حتى الآن، وربما زاد في العصر الحديث اتساعاً نتيجة الغزوات الاستعمارية الغربية. وقد لا يختلف الحال كثيراً في المستقبل انطلاقاً من التجارب التاريخية من ناحية، ومن اختلاف التطلعات السياسية والاجتماعية من ناحية ثانية، وإذا ما حدثت هدنة ما بين الشرق والغرب فإنها عادة ما تكون مؤقتة وتعود الأمور إلى سالف عهدها. حدث ذلك في الماضي البعيد والقريب وحدث في الوقت الراهن، والشواهد في كل الأحوال تؤكد حقيقة أن الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا» (المقالم، ٢٠١٧: ٢).

يعد عبد الرحمن منيف (٢٠٠٤-١٩٣٣) أحد أهم الروائيين العرب في القرن العشرين؛ حيث استطاع في رواياته أن يعكس الواقع الاجتماعي والسياسي العربي، والقضايا الثقافية العنيفة التي شهدتها المجتمعات العربية خاصة في دول الخليج الفارسي أو ما يدعى بالدول النفطية. وله دور ريادي بارز في الرواية التي تناقش قضايا الإنسان العربي المعاصر وتحلل الظروف السياسية والاجتماعية والنفسية التي يعيشها.

تعد رواية *سباق المسافات الطويلة* من أهم روايات منيف التي تناولت القضايا الإنسانية والمجتمع العربي، وقضية مابعدالكولونيالية، حيث إن الراوي يشير إلى سيطرة الغرب على الدول الشرقية وحصوله على المصادر النفطية في هذه البلاد؛ والرواي عاش تحت وطأة الاستعمار وذاق طعم الاستعمار. كماه علوم انساني ومطالعات فرسي تقوم هذه الدراسة على المنهج الوصفي - التحليلي بدراسة رواية *سباق المسافات الطويلة* على ضوء القراءة مابعد الكولونيالية معتمدة على آراء إدوارد سعيد، وهومي بابا، اللذين يعدان من أبناء العالم الثالث ومنظريه.

١,١ أسئلة البحث

١. ماهي أهم مكونات مابعد الكولونيالية في رواية *سباق المسافات الطويلة*؟
٢. ماهي التغييرات التي طرأت على نظرة المستعمر تجاه الشرق في الرواية المدروسة؟

٢,١ خلفية البحث

كتاب لهيلين جيلبرت وزملائها وعنوانه: الدراما ما بعد الكولونيالية النظرية والممارسة (٢٠٠٠م)، ترجمة سامح فكري، وزارة الثقافة القاهرة. يسعى الباحث إلى التعريف عن مابعد الكولونيالية والعلاقة بينها وبين الدراما ويشير أيضاً إلى تاريخ مابعدالكولونيالية. وكتاب لآنيا لومبا وعنوانه: في نظرية الاستعمار وما بعدالاستعمار الأدبية (٢٠٠٧م)، ترجمة محمد عبدالغني غنوم، دار الحوار، سوريا- اللاذقية. يعالج هذا الكتاب تكوين ومعايير النظريات المعاصرة لما بعد الاستعمار وذلك عبر المناظرات الفكرية. وكتاب لبيلا أشكروفت وزملائه وعنوانه: دراسات ما بعد الكولونيالية؛ المفاهيم الرئيسية (٢٠١٠م)، ترجمة أحمد الروبي والآخريين، المركز القومي للترجمة. يمثل هذا الكتاب مفتاحاً أساسياً لإستيعاب الموضوعات التي تميز دراسات مابعدالكولونيالية حيث يشرح ماهيتها، والمواطن التي يمكن أن تتجلى فيها وعلّة أهميتها في تشكيل الهويات الثقافية الجديدة.

ومن الرسائل تُذكر ما كتبها: سليم بوعجاجة، وعنوانها: ملامح الخطاب مابعد الاستعمار في الرواية العربية المعاصرة في الجزائر، (القاهرة). وهناك بعض الاطروحات والرسائل عن الموضوع في ايران، فمنها: أطروحة لكمال باغجري (١٣٩٢) وعنوانها: نقد پسا استعماري رمان عربى (ازنظريه تا تطبيق) (جامعة طهران). تناولت النقد مابعد الكولونيالي في بعض الروايات العربية ك" ثلاثية محمد ديب وموسم الهجرة الى الشمال لطيب صالح. ثم قام بتحليل الروايات المختارة وفي الختام أشار إلى بعض الروايات العربية التي تدخل في مجال مابعد الكولونيالية. وأيضاً رسالة لنيل درجة الماجستير، للطالبة ناهيد خداداديان (١٣٩٣) وعنوانها: نقد پسااستعماري رمان واحه الغروب بهاء طاهر براساس رويكرد إدوارد سعيد (جامعة خوارزمي). قامت الباحثة بتحليل رواية "واحة الغروب" على ضوء آراء ادوارد سعيد. وأيضاً رسالة لنيل درجة الماجستير، للطالبة فرخنده سهرابي (١٣٩٤) وعنوانها: بررسي وتحليل رمان ذاكرة الجسد براساس مؤلفه هاى نقد پسا استعماري (جامعة رازى بكرمانشاه). قامت الباحثة بتحليل رواية "ذاكرة الجسد" وأشارت إلى المكونات مابعدالكولونيالية. وثمة أيضاً رسالة لنيل درجة الماجستير، للطالبة سيمين غلامى (١٣٩٥) وعنوانها: خوانش

پسااستعماری رمانهای عبدالکریم ناصیف (جامعة طهران). تناولت الباحثة بقراءة ما بعد كولونيالية في روايات عبدالکریم ناصیف وأشارت إلى مكونات ما بعد الكولونيالية. و من البحوث التي جديرة بالذكر مقالة معنون بـ: «نظرية ما بعد الاستعمار» لجميل حمداوی (٢٠١٢م) وهي من أهم المصادر في فهم النظرية ما بعد الكولونيالية وتحاول بالإجابة عن الأسئلة، منها: ماهي نظرية ما بعد الاستعمار؟ من هم أهم روادها الفعليين؟ وأيضاً: «المؤثر الاستعماري في الكتابة الادبية ايقاعات متعكسة تفكيكية»، لرزان محمود ابراهيم. تسعى هذه الدراسة إلى مناقشة مجموعة من المسائل الجوهرية التي شغلت كتابات ما بعد الاستعمار، منها: الهوية الحضارية، النظرية النسوية ونظرية ما بعد الاستعمار، الرواية والاستعمار، اللغة والاستعمار.

وهناك مقالات في ايران منها: «تحليل گفتمان پسا استعماري در رمان شرفه الهديان» اثر ابراهيم نصرالله، لأحمد رضا صاعدي (١٣٩٤). تناولت الدراسة رواية شرفه الهديان على أنها تشير إلى أهم حدث في القرن وهو سقوط البرجين فلماذا تنتقد الرواية الخطاب الإمبريالي - الأمريكي. يقوم الباحث بدراسة الخطاب الاستعماري على ضوء النقد ما بعد الكولونيالي معتمداً على آراء إدوارد سعيد. وأيضاً: «خوانش پسااستعماري رمان موسم هجرت به شمال اثر طيب صالح، كمال باعجری (١٣٩٤). قام الباحث بتحليل العناصر ما بعد الكولونيالية في هذه الرواية وأشار إلى أهمها كـ "ثنائية الشرق والغرب، الأنا والآخر، المركز والهامش.

ومن الدراسات التي أنجزت عن الرواية المدروسة نفسها ما يلي: رسالة لنيل درجة الماجستير للطالبة معصومه قنبر نژاد (١٣٩٠) وعنوانها: نقد و بررسی تطبیقی رمان سباق المسافات الطويلة عبدالرحمن منيف و موميایی جواد مجابی (جامعة قزوین الدولية). تناولت الدراسة المقارنة بين الروایتين، وأشارت إلى العناصر السردية فيهما؛ كعنصر الشخصية، العرض الروائي، الزمان والمكان. وأيضاً: رسالة لنيل درجة الماجستير، للطالبة محبوبه صالحی (١٣٩١) بررسی روایت و گفتگو در رمان سباق المسافات الطويلة اثر عبدالرحمن منيف (جامعة الزهراء). هذه الرسالة تعالج دراسة السرد وعناصره في رواية سباق المسافات الطويلة. وأيضاً: مقالة لرضا ناظمیان وفاطمه كاظمي (١٣٩٤) «تاریخ مداری در رمانهای سووشون

از سيمين دانشور و سباق المسافات الطويلة از عبدالرحمن منيف»، نشرية ادبيات تطبيقية (جامعة باهر بكرمان). يتناول هذا البحث بالدراسة المقارنة لتاريخية كلتا الروايتين. في هذه الدراسة، تم تحليل بعض العناصر السردية (من مثل الشخصية، السبك والعرض الروائي) وبينت كيفية استخدام هذه العناصر في سياق الرواية التاريخية ومعالجة التشابهات والاختلافات في مجال الحوادث التاريخية التي تتمحور حول موضوع الاستعمار، نظراً إلى رؤية كلا الكاتبين.

٢. الإطار النظري

١,٢ النظرية ما بعد الكولونيالية

تعد نظرية ما بعد الاستعمار أو النظرية ما بعد الكولونيالية «من أهم النظريات الأدبية والنقدية ذات الطابع الثقافي والسياسي؛ لكونها تربط الخطاب بالمشاكل السياسية الحقيقية في العالم، وبالتالي، تستعرض ثنائية الشرق والغرب في إطار صراع عسكري وحضاري وقيمي وثقافي وعلمي. كما تعمل هذه النظرية الأدبية النقدية على استكشاف مواطن الاختلاف بين الشرق والغرب، وتحديد أنماط التفكير والنظر إلى الشرق والغرب معاً، وذلك من قبل كتاب ومبدعي مرحلة ما بعد البنيوية، ومثقفين ما بعد فترة الاحتلال الغربي الذين ينتمون غالباً إلى الشعوب المستعمرة، وأخص بالذكر شعوب أفريقيا وآسيا. وتسمى هذه النظرية كذلك بالخطاب الاستعماري. وقد ظهرت هذه النظرية حديثاً مرافقة لنظرية ما بعد الحداثة، وبالضبط في سنوات الستين والسبعين إلى غاية سنوات التسعين من القرن العشرين» (حمداوي، ٢٠١٥: ٢١٧-٢١٦). مصطلح ما بعد الكولونيالية فيها شيء من الغموض وضبابية تخومه، وهذا ما أدى بالنقاد إلى وضع عشرات التعريفات له، وقد حصر دوغلاس روبنسون (Robenson Douglas) ثلاثة تعاريف تتفاوت أطرها التاريخية بشكل ملحوظ، وهي كالتالي:

التعريف الأول: «النظرية ما بعد الكولونيالية هي - دراسة مستعمرات أوروبا السابقة منذ استقلالها؛ أي كيف استجابت لإرث الكولونيالية الثقافي، أو تكيّفت معه، أو

قاومته، أو تغلّبت عليه خلال الاستقلال. وهنا تشير الصفة "ما بعد الكولونيالية" إلى ثقافات ما بعد نهاية الكولونيالية. والفترة التاريخية التي تغطيها هي تقريباً النصف الثاني من القرن العشرين. التعريف الثاني: هي دراسة مستعمرات أوروبا السابقة منذ استعمارها؛ أي الكيفية التي استجابت بها لإرث الكولونيالية الثقافي، أو تكيّفت معه، أو قاومته، أو تغلّبت عليه منذ بداية الكولونيالية. وهنا تشير الصفة "ما بعد الكولونيالية" إلى ثقافات ما بعد بداية الكولونيالية. والفترة التاريخية التي تغطيها هي تقريباً الفترة الحديثة، بدءاً من القرن السادس عشر. والتعريف الثالث: دراسة جميع الثقافات / المجتمعات / البلدان / الأمم من حيث علاقات القوة التي تربطها بسواها من الثقافات / المجتمعات / البلدان / الأمم؛ أي الكيفية التي أخضعت بها الثقافات الفاتحة الثقافات المفتوحة لمشيئتها؛ والكيفية التي استجابت بها الثقافات المفتوحة لذلك القسّر، أو تكيّفت معه، أو قاومته، أو تغلّبت عليه. وهنا تشير الصفة "ما بعد الكولونيالية" إلى نظرنا في أواخر القرن العشرين إلى علاقات القوة السياسية والثقافية. أما الفترة التاريخية التي تغطيها فهي التاريخ كلّيه» (عتيق، ٢٠١٥: ٤).

يتطابق التعريف الأول مع «مفهوم "ما بعد الاستقلال" حيث يركّز الدارسون على التداعيات السياسية والثقافية واللغوية والدينية والأدبية على المجتمعات المستعمرة سابقاً، المستقلّة حديثاً. أمّا التعريف الثاني فيشمل المرحلة الكولونيالية وما تلاها، ويركّز على المستعمر قدر تركيزه على المستعمر، إذ يلقي الضوء على مناطق عتمة من تاريخ أوربا الاستعماري، ويطرح أسئلة محرّجة عن دوافع توسعاتها وآفاق طموحاتها الكولونيالية. وأمّا التعريف الثالث فهو الأكثر شمولاً والأوسع طموحاً إذ يشمل العلاقات الكولونيالية في كلّ أنحاء المعمورة وعلى امتداد التاريخ بأكمله، وفي هذا المستوى تبدو النظرية ما بعد الكولونيالية على أنّها طريقة في النظر إلى القوة بين الثقافية، والتحوّلات النفسية والاجتماعية التي تُحدِثها ديناميات الهيمنة والإخضاع المتوائمة، والانزياح الجغرافي واللغوي. وهي لا تحاول أن تفسّر كلّ الأشياء في هذه الدنيا، بل تقتصر على هذه الظاهرة الواحدة المهملة: السيطرة على ثقافة معينة من قبل ثقافة أخرى» (روبسون، ٢٠٠٩).

٢,٢ الشرق والغرب

إنَّ الشرق والغرب يعدان من المباحث الأساسية للخطاب ما بعد الكولونيالي. إذ إنَّ الغرب قد نظر إلى الشرق ومنذ عصور بعيدة نظرة عداء واستحواذ على ما عنده من ثروات، ومن مصادر طبيعية. التقابل بين الشرق والغرب وإن كان له أساس جغرافي إلا أنَّه تقابل حضاري. استخدم كلمة الشرق «لأول مرة، ويرجيل، الشاعر اليوناني الشهير الذي كان قد عاش قبيل قرن من ولادة عيسى(ع). فهو يرى أنَّ الشرق هو الأراضي التي وقعت في اتجاه شروق الشمس» (پورطابايي، ١٣٨٩: ٢؛ رضوان، ١٩٩٢: ٥). إنَّ مصطلح الشرق يحمل معاني عديدة لاتساع دائرته، فقد يكون ذلك المكان الجغرافي البعيد أو الشرقي؛ لأنَّ الغرب «يعد الشرق مفهوماً يمثل نقيض الغرب وليس له حدود بل يجوز أن تعني كل العالم، الذي لا يدخل في دائرة الغرب، وداخل امتداده المباشر، ولكنه اقتصر على الشرق الأدنى الأكثر قرباً الذي كان ولا يزال الغرب يحتك به، وهذا الشرق يضم العالم العربي وإيران وتركيا. فالشرق هو ند للغرب واستثمار قيم بل مرآة، وهو أحد أشكال الآخر الضرورية لصيانة هويتها فزاد اهتمامهم به، لأنَّه وسيلة للكشف عن الهوية الغربية الحديثة وذلك عبر اهتمامه بالشرق وتصويره له» (كامل كعيد، ٢٠١٦: ٤٠٨-٤١٠) وإذ تبدو «آداب البلدان الأفريقية، وآداب معظم البلدان الآسوية والأمريكية اللاتينية، وكذلك استراليا وكندا ونيوزلندا، وما يكتبه السود والمهاجرون والسكان الأصليون في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا على أنَّها آداب ما بعد الكولونيالية» (بعلي، ٢٠٠٧: ٦٨).

أما الغرب «في الاصطلاح الجغرافي نسبي ومتحرك: فالشيء الواحد يكون غرباً بالنسبة لشيء معين ويكون شرقاً بالنسبة لشيء آخر. أما في الاصطلاح السياسي الراهن فـ "الغرب" متعدد يضم عدة دول وعدة قوميات» (الجابري، ٢٠٠٠: ٣). في الحقيقة، أصبح مفهوم الغرب مفهوماً عقلياً أكثر من أنَّه مفهوم جغرافي، والغرب هو منشأ تاريخي، وليس جغرافياً. والغرب عادة يشمل البلدان الأوروبية والإنكليزية، والفرنسية والاسبانية. يرى البعض أن «القسوة والاحتلال صفتان دائمتان في الحضارة الغربية، وقد تفاقمت المشاكل في الشرق الأوسط بسبب قرون من الصراعات الغربية التي تُوجَّح بكارثة حريين عالميتين. إنَّ العقيدة

العلمانية قد شجعت (العالم الحر) على فرض أصوليتهم الاستعمارية على شعوب الشرق الأوسط، وذلك عندما سعت الدول الغربية وراء النفوذ والسيطرة على العالم. فقد بدأ الغزو السياسي للعالم الإسلامي في القرن الثامن عشر، ولا يزال مستمراً حتى القرن الواحد والعشرين» (وحيد، ٢٠٠٤: ١). صورة الشرق في وعي الغرب هي «أنه يمثل بدايات الوعي الانساني، الإنسانية في مرحلة الميلاذ، بلا وعي ولا ارادة ولا عقل، مجرد كائن عضوي أشبه بالكائنات الطبيعية الجامدة أو الحية على أكثر تقدير. ليس به فكر أو علم، إنسانية مجردة مثل الأحجار، وهو موطن السحر والدين، والخرافات والأوهام، وظلام المعابد وتعاويد الكهان. كل ما فيه تخلف في الملابس والسكن والمأكل والمشرب، وسائر نواحي العمران. كثافته السكانية أحد مظاهر تخلفه، نسل وفير، وكوارث طبيعية من الفيضانات تحصد الالوف» (حنفي، ١٩٩١: ٧٧٤) فالتقابل بين الشرق والغرب «وإن كان له أساس جغرافي إلا أنه تقابل حضاري» (المصدر نفسه: ٢٦٤).

٢, ٣ الأنا والآخر

إن مفهوم الأنا يعني «الشيء نفسه، بما يجعله مبنياً لما يمكن عليه شيء آخر ويميزه عنه. فالأنا بكل بساطة هو الماهية، وهو مصطلح يتعارض مع مفهوم الغيرية، ويشير إلى المبدأ الدائم، الذي يسمح للفرد بأن يبقى (هو هو) وأن يستمر في كائنه عبر وجوده السردي، على الرغم من التغيرات التي يسببها أو يعانيتها» (برهم، ٢٠٠٨: ٥٥). ما يقابل الذات هو الآخر (other) الذي «إن لم يكن هو لانستطيع أن نحكم على الأنا بالوجود، لأنها قد تأخذ حياتها وكيونتها من الآخر، كما أن الآخر يأخذ كيونته من كينونة الأنا، إذن الأنا والآخر هما متلازمان لا ينفك بعضهما من بعض» (روشنفكر والآخرين، ١٣٩٥: ٦) أما الآخر أو الغير فمصطلح «يعني أننا إذا وضعنا شخصاً ما أو مجموعة أو مؤسسة في موقع الآخر أو الغير، فإننا نضعه أو نضعها خارج سياق انتمانا، أى خارج سياق انتماء الفرد الذي يضع الشخص أو المجموعة أو المؤسسة في هذا الموضع عرفاً أو طبعاً» (عناني، ١٩٩٧: ١٠٧-١٠٩). إن جدل الأنا والآخر هو «الصراع بين الجديد والقديم على مستوى الحضارات وفي مسار التاريخ،

يحدث عند كل شعب، وعلى مستوى الدوائر الحضارية الكبرى. فإذا كان الغرب هو الأنا، فإنّ الشرق بالنسبة إليه هو الآخر. والعكس بالعكس، إذا كان الشرق هو الأنا فالغرب هو الآخر بالنسبة إليه. وإذا كان العالم الثالث هو الأنا كان الشرق والغرب على السواء هما الآخر بالنسبة له. وإذا كان الشرق والغرب أى العالم المتقدم المتنافس ذو النظامين المختلفين: الاشتراكية والرأسمالية هو الأنا فإنّ شعوب العالم الثالث التي تود كل كتلة جذبا إليها هو الآخر» (حنفي، ١٩٩١: ٦٩٥).

٣. ملخص رواية سباق المسافات الطويلة

سباق المسافات الطويلة هي السادسة ضمن قائمة روايات عبد الرحمن منيف. وقد كُتبت على شكل مذكرات خاصة من قبل مبعوث بريطانيا إلى بلد شرقي. إنّها مذكرات المبعوث بيتر ماكدونالد في إيران بعد قرار تأمين النفط الصادر من رئيس الوزراء الإيراني الدكتور محمد مصدق بعد يومين من فوزه في الانتخابات. وهي محاولة لإعادة المكاسب البريطانية التي كانت تستولي على النفط الإيراني بالتفاوض مع المعارضة وإثارة الفتن ضد حكومة مصدق، في نفس الفترة التي تواجد فيها مبعوثو الولايات المتحدة الأمريكية. وتكشف هذه الرواية عن الواقع المر الذي تعيشه الدول العربية من جراء الفقر وقد ذكر فيها السارد نماذج للفساد السياسي الذي تعرفه الدول العربية من خلال سفر بطل الرواية. و الرواية تؤرخ للصراع الامبريالي على النفوذ في دول المنطقة بغية السيطرة على ثرواتها النفطية، وتكشف من جهة أخرى الأساليب غير المشروعة وغير الأخلاقية للبريطانيين والأمريكيين في صراعهم من أجل إحكام السيطرة على البترول وعلى الحكام الذين انشغلوا بملذاتهم ومغامراتهم الشخصية وأهملوا مصالح شعوبهم التي ترزح تحت نير الفقر والحرمان. وتمثل شخصية بيتر ماكدونالد في الرواية أنموذجا للأساليب اللاأخلاقية التي اتبعها البريطانيون للمحافظة على مصالحهم المهددة من القادمين الجدد إلى المنطقة (الأمريكيين). والرواية تركّز على نقاط محددة مثل رؤية الغرب للشرق والشرقيين، ومصدر اهتمامهم الفعلي بالشرق (سرقة الثروات والنفط بشكل خاص) لذلك تأمرت بريطانيا وأمريكا ضد مصدق. منيف كما هي عادته يدمج التاريخ الواقعي

بالخيال الروائي، لِيُنتِجَ عملاً رائعاً، لذلك تقرأ رواية تعبّرُ عن الواقع بأسلوب أدبي جميل، مثلما فعل في "مدن الملح، وشرق المتوسط، والآن هنا".

١,٣ دلالات العنوان في الرواية

يتكون العنوان (سباق المسافات الطويلة) من «مكونين اثنين: "سباق" مكون حدثي، و"المسافات" مكون مكاني، إضافة إلى كلمة "الطويلة" التي جاءت وصفاً للمسافات. ولفظة سباق توحي إلى التنافس بين بريطانيا وأمريكا وغيرها من القوى الاستعمارية، والمسافات الطويلة تدل على طول المكان وبعده. والمكون الحدثي "سباق" له دلالة حركية في عملية ما، فالسباق لا يقف عند نقطة محددة، بل يتعدها إلى أبعد النقاط من أجل الفوز بالغنيمة "الشرق"، وهذا السباق ليس سهلاً، بل طويل جداً وذو مسافات شاسعة» (عبدالجبار دريدى، ٢٠١٠: ٩٤). في مكان آخر يأتي الكاتب بنموذج يؤكد هيمنة الأوروبيين على الشرق وذلك عندما يتحدث راندلي - رئيس بيتر ماكدونالد - مع بيتر ويذكره بأنه «ليس مهماً أن تحقق نصراً من أي نوع... الشيء الوحيد المطلوب الآن، في مرحلة الشهور القادمة، أن لا نترك الآخرين يحققون نصراً علينا. وأن لا يُترك للآخرين تحقيق النصر، معناه أن نشغلهم، أن نجعلهم في قلق دائم، في خوف دائم، وفي نفس الوقت نلوح لهم دائماً أن شروطنا سهلة ويمكن أن تفاهم معهم، لكن دون أن نصل إلى أية نتائج، وفي ظل هذه الحالة تعمل ويعمل الذين معنا لتحقيق الأهداف الأخرى.» (منيّف، ١٩٩٠: ٣٢). ومن عتبات النص أيضاً صفحة الشكر وفيها يقدم شكره للأستاذ حسين جميل، «لأنّ الوثائق التي أطلعني عليها كانت لها أهمية في كتابة بعض فصول هذه الرواية. (المصدر نفسه: ٣٦ ويستهل الرواية بقوله: «من يملك الشرق... يملك العالم؟» (المصدر نفسه: ٧).

«أنت يا بيتر لا تعرف ماذا يعني الشرق، فالثروة ليست كل شيء. صحيح أنّها مهمة جداً، لكنها ليست الشيء الوحيد. الشرق هو المستقبل، يجب أن نعترف بذلك، ومن يكسب هذا الشرق، يكسب المستقبل، يجب أن تكون متأكداً من هذا» (المصدر نفسه: ٣٢٠ والوصول إلى المياه الدافئة والسيطرة على النفط كان وما يزال حلماً يراود الغرب:

«يجب أن تعرف أنّ الآخرين ينتظرون اللحظة المناسبة لكي يقفزوا ويصلوا إلى المياه الدافئة. لقد كان هذا حلمهم منذ مئات السنين وسيبقى هذا الحلم الهاجس الوحيد الذي يدفعهم ويحركهم، وأنتم بالطريقة التي تفكرون بها تساعدوهم على الوصول... وبسرعة! تخطيء كثيراً يا مستر فوكس، لقد بذلنا ما نستطيع، ولا نزال، من أجل منعهم، من أجل أن تبقى هنا حتى آخر قطرة من النفط» (المصادر نفسه: ٣١٥). إنّ من يملك الشرق يملك العالم؟ نعم هذه نظرة الغربيين للشرق، وبريطانيا تسعى إلى السيطرة على الشرق من خلال مبعوثها (بيتر) فمن ملك الشرق كأنه ملك العالم. والشرق منذ قدم الأزل محل أطماع الجميع، للثروات والخيرات التي يمتلكها من نفطٍ وأراضٍ وتجارةٍ، وموقع استراتيجي يشكل نقطة ارتكاز في العالم؛ عدا ذلك طمع الإنكليز في البحار والأنهار التي ترفد هذا الشرق بالخير الوفير. الشرق في رؤية الغرب لا ينحصر في الثروات المادية والطبيعية، بل إن الشرق بمعناه الأصلي مستقبل للغرب، ومن يكسب هذا الشرق، كأنه يكسب المستقبل.

سباق المسافات الطويلة «صراع سياسي على الشرق، فمن يملك الشرق يملك العالم، هذا السباق بين أمريكا وبريطانيا، كل منهما يريد أن يفوز بالشرق، لكن اللعبة ليست سهلة وتحتاج إلى أشواط ومسافات طويلة، فمن يريد الفوز، فعليه أن يصبر ويتعب أكثر، فاللقمة ليست سهلة لتصل إلى الفم. هذا ما رمى به منيف من خلال عنوانه، إنّ منيفاً يعرف أنّ الشرق صيد صعب، ولن تستطيع أية دولة الحصول عليه إلا بعد جهد جهيد، من مؤامرات وتخطيط ودراسات وعملاء ومبعوثين ومستشرقين، فإن نجحوا في خططهم استطاعوا أن يصلوا إلى الشرق، ويتحكموا في ثروته ونفطه وخيراته. وما زال هذا السباق قائماً حتى الآن، فالشرق العربي تحت أعين الطامعين، سواء كان من أمريكا أو أوروبا أو إسرائيل، والأخيرة هي أكبر الأخطار المترتبة بالشرق» (أحمد، ١٩٩٨: ٩٨) إنّ العنوان يشير إلى سباق حقيقي بين دولتين: بريطانيا وأمريكا أو أكثر من أجل الوصول إلى هدف ما. فالسباق أكبر من سباق عادي؛ إنه سباق سياسي، ليخرج من دائرة السباق الرياضي المعروف. والرواية تدور حول محاور ثلاثة رئيسة:

الغرب: ويمثله الراوي في الرواية: بيتر ماكدونالد الذي يرى الأشياء بنظرة الغربية الفوقية والمنبئة عن جنسيته وشخصيته وموقعه السياسي والدبلوماسي، فهو يرى الأمور كما يريد.

الأخر الشرقي من منظور الأنا الغربية ... (هادي نظري منظم و آخرين) ٣٠١

هذا الغرب عبر شخصية بيتر ماكدونالد لا يتوصل إلى فهم معنى حياة الشرقيين، فتبقى إنطباعاته خارجية، لأنّ العلاقة مع الشرق هي علاقة خارجية، ويتعبّر آخر هامشية. الشرق: وهو الميدان الذي تقع فيه أحداث الرواية. وحتى الشرق، «كفضاء لكل روايات عبدالرحمن منيف، يختلف بحسب الزاوية والرؤية والرأي، والغرب هو المعادل الفضائي لنقيض هذا الشرق، يبدو الغرب واحة حرية، وواحة إنسانية، ومؤمناً للتأمر والتواطؤ والانتهاز، هذا هو الجو العام:

«كل شيء يسير إلى الهاوية ... كل شيء يسير إلى النهاية، كل شيء في الشرق ... مستلب ... فالشرق كله ... سجن ... والشرق كله ... ملعب للتأمر والصراعات. هكذا تكلم منيف» (المحادين، ١٩٩٩: ١٤٧-١٤٩). الشرق في سباق المسافات الطويلة مفهوم جغرافي وتاريخي ونفسي تشكلت هيأته لدى الغربيين بفعل عوامل مختلفة، ومن هنا فإنّ المنظور العام للشرق في الرواية هو منظور غربي. الغرب، رمز الخلاص والحرية وهو القادم الآن إلى الشرق يحمل معه خطط التغيير والانقلابات والتأمرات.

المرأة: هي المحور الثالث، هي الطيف الذي يمر سريعاً في الرواية. فهي السرّ، لأنّ القرارات المهمة تتخذ في مخادع النساء، حيث المرأة تتحكم بكل شيء. إنّ شخصيات الرواية لا تمت إلى الشرق بصلة، فميرزا وعباس وشيرين هم شرقيو الجنسية ولكنهم غريبو الطموح والتربية. والشرق الذي يتحدث عنه بيتر ماكدونالد في الرواية، هو مدينة بيروت.

٤. القسم التحليلي

٤.١ تحليل رواية سباق المسافات الطويلة

بداية يمكن تقسيم الرواية إلى ثلاثة أقسام: ما قبل وصول بيتر على بيروت (من بداية الرواية حتى صفحة ٢٢) بعد وصوله وإقامته فيها (من صفحة ٢٣ حتى صفحة ٣٥١) وبعد مغادرته (من صفحة ٣٥٢ حتى نهاية الرواية). تبدأ الرواية في مطار بروكسل يوم رحلة بيتر ماكدونالد، الخبير الإنكليزي الذي يعمل في السلك الخارجي ولكن الكاتب يعمد إلى القطع

السينمائي ثم يعيد الأحداث المتداخلة عبر استخدام الفلاش بك: «على أرض المطار كانت بقايا أوراق الخريف تتطاير. بيتر ماكدونالد يراقبها وهو يجلس في الزاوية الشمالية لصالة الانتظار.» (منيف، ١٩٩٠: ٩)

١,١,٤ ما قبل وصول المستعمر

إنّ معظم روايات الرّخالة الأوروبيين «أنّحت صورة بشعة للشرق، كان من شأنها أن عزّزت السلطة السياسية بمختلف بنياتها داخل المجتمعات الغربية؛ وبالشكل نفسه عملت هذه السلطات السياسية على تعزيز هذه الصّورة وترسيخها لدى العامّة من الغربيين، وحتى لدى المثقفين والرّخالين أنفسهم. فلا بدّ للاستعمار الأوروبي الإمبريالي - قبل أن يقوم باحتلال الشّرق - أن يكون مزوّداً بكلّ المعلومات عن هذا الشّرق في مختلف ميادين الحياة، بدءاً بطريقة أكل شعوبه ولّوها وكيفية عيشها، ووصولاً إلى طريقة الحكم عنده وأخبار حكّامه وخلافاتهم وحروبهم وإسرافهم وملذّاتهم» (شريف بموسى، ٢٠١٥: ٩) إنّ الاستشراق لإدوارد سعيد له أهمية خاصة في تشكيل صورة الشرق عند الغرب، في الحقيقة يحاول سعيد أن يبين «نظرة الغربيين بالنسبة إلى الشرق ويشرح بأنّ الصور التي صاغها الغرب، كانت صوراً خيالية وغير حقيقية لما صُدرت عن الغرب. يعتقد سعيد بأنّ العلاقة بين الشرق والغرب هي علاقة من القوة، ومن السيطرة، ومن درجات متفاوتة من الهيمنة المعقدة المتشابكة. لقد شرّق الشرق لا المجرّد أنّ أوروبا اكتشفت أنّه شرقيّ بجميع تلك الطرق التي اعتبرها الإنسان الأوروبي المتوسّط في القرن التاسع عشر عادية معروفة، بل لأنّ الشرق كان قابلاً لأن يجعل - أي أن يخضع لكونه - شرقياً» (سعيد، ٢٠٠٦: ٣٥).

الشرق عند ماكدونالد في هذه المرحلة مكان الوغد والحيل: «هذا الشرق الوغد العفن، أي شيء يمكن أن يكتب الإنسان عنه.» (منيف، ١٩٩٠: ١١) وهذه الرّؤية ليست رؤيةً فرديةً، أو رؤية الراوي فحسب، بل رؤيةً محكومةً بشروط اجتماعية وثقافية؛ لذا فهي تعكس الواقع الغربي، وعقله في تعامله مع الآخر الشرقي. وثمة مؤثرات مختلفة وعوامل عديدة تؤدي إلى بروز مثل هذه الأحكام السابقة والحقيقة أنّ «الكتب المدرسية أداة أساسية للتعليم الرسمي في جميع مراحل التعليم في الدول الغربية أو الأوروبية، وتعد الكتب المدرسية مصدراً أولاً

يستمد منه الطالب مواقفه واتجاهاته إزاء كثير من الجماعات العرقية المختلفة. فالكتب المدرسية تزود التلاميذ بما يحتاجونه من معلومات عن التاريخ وحضارات العالم الذي يعيشون فيه، وإنّ التعليم في المدارس له تأثيره الدائم، لذا يمكن إرجاع المواقف التي يتخذها الكبار تجاه جماعات معينة إلى التجارب التربوية الأولى، وما ينشأ عنها من صور مشوهة وسلبية عن الشعوب الأجنبية» (عماوي، ٢٠٠٧: ٣٧). هكذا يلاحظ بأن تغطية الكتب المدرسية للدول الشرقية تغطية قاصرة وغير دقيقة، وسلبية في معظمها، وأن ارتفاع نسبة الأخطاء والحذف والمقولات المتحيزة تزود القارىء بصورة مشوهة عن البلد العربي. ومن الأدلة على ذلك ما نجده في الرواية نفسها:

«قال لباتريشيا:

- يبدو أنّ الشرق الذي قرأنا عنه في الكتب يختلف كثيراً عما سمعنا.

- ما سمعنا؟

- أقصد أنّ الكتب تبالغ كثيراً.» (منيف، ١٩٩٠م: ١٨).

ولقد كان أحد التطوّرات المهمة في استشرق القرن التاسع عشر «يتمثّل في تكرير الأفكار الجوهريّة حول الشّرق، حواسيّته وميله إلى الطّغيان، تخلفه ولاعقلانيته، وعادة غياب التّنظيم والدّقة لديه، وترسيخ هذه الأفكار إلى الحدّ الذي صار معه استخدام كاتب للفظّة "شرقي" إشعاراً كافياً يحدّد للقارىء الغربي هويّة جسد معيّن من المعلومات حول الشّرق. هذه المعلومات جاءت من خلال المضامين التي كانت تتوارى في ثنايا كتب الرّحالة الأوروبيين والكتب الاستشراقية الغربية التي ألّفت في الآداب والعلوم، والتي يتصوّر فيها الشّرق على نحوٍ خيالي خرافي، يُظهره بأنّه متخلف، ميّال إلى الطّغيان، ذو عقلية منحرفة، وعرق دوني، وإنّه غير جدير بالحياة الحرّة، وينبغي على الغرب أن يستحوذ عليه ويأسره ويسوده» (شريف بموسى، ٢٠١٥: ١٩). وبيتر هذا - كما يؤكد الراوي - يطالع بعض الكتب المهمة والنافعة له في رحلته هذه ويتصل ببعض أصدقائه ممن قاموا بمهمات في الشرق (منيف، ١٩٩٠: ١٤) ولكنه هذا كله قلق وكدر: «تصور نفسه أسيراً مرة ثانية. تصور أنّه يقتل، ثم تصور أنّه في مكان صحراوي شديد الحرارة وأنّه يموت على مهله من العطش». (المصدر نفسه: ٨٥).

إنّ كل وطبيعة العلاقة بين الوطن العربي والغرب لا يحدده الطرفان على قدم المساواة، فالغرب قوي ويفرض شكل العلاقة في حين أنّ العالم العربي ضعيف ومجزأ، وبالتالي فإنّ الطرفين لا يقفان على قدم المساواة في هذه العلاقة. وعليه فإنّ الصورة المرسومة في أذهان الغربيين عن العرب تؤثر في طبيعة وشكل علاقتهم بهم. في حين أنّ صورة الغرب في أذهان العرب لا يؤثر في شكل العلاقة لضعف العرب ولقلة حيلتهم. وهذا ما أكد عليه ادوارد سعيد بأنّ الصور التي يعكسها الغرب ليست حقيقية: «إنّ الشرق الذي يراه الغرب ليس الشرق بصورته الحقيقية بل بصورته التي رسمها له الاستشراق، ورابطة المعرفة والسلطة تربط رجل السياسة الأوروبي أو الغربي بالمستشرقين الغربيين مثل قوس متصل الحلقات يشكل حافة المسرح الذي يقوم فيه الشرق» (سعيد، ٢٠٠٦: ١٨٦). يروي بيتر بأنّ أصدقائه الرحالين إلى الشرق، يصفون العجائب والغرائب هناك ليظهروا طرافتهم في نظر مواطنيهم:

«حدثني بعض الزملاء الذي ذهبوا برحلات إلى الشرق أنّ الرحالة، الذين يكتبون، يحبّون أن يظهروا بنظر مواطنيهم، أنّهم طريفون، هذا كل ما في الأمر، لذلك يكتبون عن الأشياء غير المألوفة، الأشياء الغريبة» (منيّف، ١٩٩٠: ١٨). وهذه الطرافة المصطنعة للشرق تغريه للذهاب إلى هناك:

- «بخطىء من يظن أنّي مرغم على السفر. كان بإمكانني أن أعتذر، كان سهلاً أن أقنعهم باختيار واحدٍ غيري. إلا أنّ هذا الشرق اللعين يغريني، وأريد أن أذهب.» (المصدر نفسه: ٢١).

والحق أنّ الشرق «كعالمٍ سحريٍّ ومنبعٍ للأحلام والرؤى. فالشرق الذي قدمه الغربيون أضحى منفذاً للأدب في بحثهم عن التعدّدي والرائع واللاعادي ومادّة خصبة للفانتازيا الشعريّة في مقاومة وحدة العقل والواقعيّة» (كرم، ٢٠١٠: ٣).

ولقد أشار الفيلسوف الألمانيّ يوهان غوتفريد هردير (Johann Gottfried Herder) (١٧٤٤-١٨٠٣) إلى «أثر الشرق على الأدب في أوروبا من خلال حكايات ألف ليلة وليلة» بأنّ روح أوروبا الفروسيّ أصبح شرقياً وروحانياً؛ فلقد نشأت أناشيد البطولات والمغامرات وملاّت الأدب الأوروبيّ بالأساطير والحكايات والروايات، وهذا الروح نقل إلى أوروبا طعماً جديداً بالعجائبيّ وبالمغامرة، بالشرف وبالحبّ (المصدر نفسه: ٨٤).

٢,١,٤ بعد وصوله إلى بيروت

١,٢,١,٤ بيروت السالبة

صورة الشرق في وعي الغرب هي أنه «يمثل بدايات الوعي الانساني، الإنسانية في مرحلة الميلاد، بلا وعي ولا ارادة ولا عقل، مجرد كائن عضوي اشبه بالكائنات الطبيعية الجامدة أو الحية على أكثر تقدير. ليس به فكر أو علم، انسانية مجردة مثل الاحجار، وهو موطن السحر والدين، والخرافات والالوهام، وظلام المعاييد وتعاويد الكهان. كل ما فيه تخلف في الملابس والسكن والمأكل والمشرب، وسائر نواحي العمران. كثافته السكانية أحد مظاهر تخلفه، نسل وفيير، وكوارث طبيعية من الفيضانات تحصد الالوف» (حنفي، ١٩٩١: ٧٧٤). من وجهة نظر الأنا الغربي، إنَّ الشرقي كان وما يزال ذا صفات سلبية: إنَّه همجي، شرس، كسول، أحمق وكل ما يندرج تحت هذه العناوين السلبية. وهذا منيف يصور النظرة تجاه الشرق في أجزاء كثيرة من الرواية. أنظر مثلاً إلى ما يُجْرِيه على لسان راندلي حيث يقول لبيتر: «هؤلاء الناس لهم صفتان: الحماقة والسرعة، إنَّهم حمقى لا يعرفون شيئاً، لا يعرفون كيف يفكرون، كيف يتصرفون، ولذلك فإنَّ كل أفكارهم وتصرفاتهم تتسم بهذا المقدار الكبير من الحماقة. وأيضاً متسرعون شديدي الغضب. يتصورون أنَّه يمكن قطع المسافة بين الأرض والقمر في لحظة، الأمر الذي لا يمكن أن يتحقق أبداً، لكنهم لا يسلمون، ولا يعترفون بالخطأ أيضاً. وفي نطاق السرعة يرتكبون مزيداً من الحماقات» (منيف، ١٩٩٠: ٣٣). المراد بـ هؤلاء الناس في العبارة المذكورة، الشرقيون الذين ينسب إليهم الغربي صفة الحماقة والسرعة. يرى الغربي أنَّ الشرقي ليس لديه فكرة، لا يستطيع أن يفكر، وأن يتصرف في الأمور، إنَّه أحمق، غضبان. تمثل هذه الصفات السلبية بأنَّ ثقافة الشرقيين في مستوى أدنى من ثقافة أهل الغرب؛ أي أنَّ الغرب ونظرتهم إلى الشرقي كانت نظرة مهينة و متمحورة حول الذات، والمعروف أنَّ معالجة الصراع الثقافي ومواجهة الثقافتين تعد من أهم القضايا في مجال الدراسات ما بعد الكولونيالية. من أجل تجنب التعاطف، يدعي المستعمر بأنَّ المستعمر هو في الأساس شخص بائس وفاسد، ولديه غريزة سيئة: إنَّه لص ومريض نفساني. وفي قسم آخر من الرواية يكشف ماكدونالد عن عدم إحساسه بالأمن في الشرق وخوفه من التعرض لسرقة نقوده:

«كل شيء هنا يحتمل الغش، لذلك لا أطمئن أبداً... أشم رائحة اللحم الذي يقدم إليّ من قبل أن أتأوله، أتحسس جيوبي بين لحظة وأخرى خوف أن أسرق» (المصدر نفسه: ٤٩).

إنّ الشرقيين أو العرب «يسهل خداعهم، وأنهم يفتقرون إلى النشاط وروح المبادرة، مولعون بالفراط في المدح والملق، وبالتأمر، والمكر، والقسوة على الحيوان. إنّ الشرقيين لا يستطيعون المشي في شارع أو على رصيف (لأنّ أذهانهم الفوضوية تعجز عن فهم ما يدركه الأوروبي الذكي على الفور وهو أنّ الشوارع والأرصفة قد جعلت للمشبي)؛ ويقول إنّ الكذب متأصل في الشرقيين، كما إنّهم كسالى ويستريون بغيرهم. وفي كل شيء يمثلون عكس صفات الوضوح والمباشرة والنبيل التي يتحلى بها الجنس الأنجلوسكسوني» (سعيد، ٢٠٠٦: ٩٤). عند رؤية بيتر أنّ الشرقيين لا يفهمون معنى الزمن، الكذب جزء من خصائصهم وهم أغبياء يفتقرون إلى الفطنة:

«عاد يتذكر كلمات راندلي، وماذا أيضاً يا مستر ماكدونالد؟ هؤلاء الناس لا يعرفون معنى للزمن، يكذبون كثيراً، يعدون كثيراً، إذا لم تكن حازماً هربوا منك كما تهرب الأسماك، يجب أن لا تتعب من ترداد الأشياء البسيطة أمامهم مرات كثيرة، حتى تتأكد أنّهم فهموا» (منيف، ١٩٩٠: ٧٣).

لقد نظر الغرب أو رجاله إلى الشرق على أنّه بلا حياة أساساً، وأنّه راكد، متخلف، وبأمس الحاجة إلى إعادة الحياة إليه بواسطة الغرب. إذاً، فالأصولية، والتطرف، والبداءة، والتخلف، والعنف، والحجاب، وكل هذه المفاهيم في نظر الغرب ووسائل إعلامه، هي سمات وخصائص الشرق، خاصة العرب والمسلمين. هذا الشرق هو مزيج لتناقضات تصبح بها الحياة اليومية - كما يراها ماكدونالد- تناقضات تظهر في الملابس والأزياء والأفكار والمؤسسات، إنّّه مجتمع مصاب بانفصام في الشخصية، فهو يعيش حياته ضمن إطارين: الحياة الظاهرة والحياة السرية. يتجول بيتر في أسواق الشرق ويضفي صفاتاً سلبية، ثابتة ودون تغيير على أهل الشرق. يقول بيتر في وصف مدينة بيروت:

«تبدو هذه المدينة كبيرة، لكنها ليست كأى من المدن الكبيرة التي رأيتها. أشعر تجاهها بحقد. كل شيء فيها قبيح ومخيف، لا أدري كيف أستطيع قضاء شهور عديدة هنا، إنّ مجرد

التفكير بذلك يخلق في النفس انقباضاً يصل حدود المرض. لأعترف بسرعة وأقول إنّ جميع الناس الذين جاءوا من قبل، وقضوا هنا سنوات طويلة، وربما في ظروف أصعب، يستحقون التقدير والمكافأة. كيف يمكن للإنسان أن يعيش هنا؟ القذارة في كل مكان، انعدام الأمن يهدد كل انسان، البدائية في كل الأشياء: الملابس، التصرفات، الطقوس الدينية... إنّ حالة من التخلف والوحشية تبرز في جميع مناحي الحياة. يتكلمون بصوت عالٍ. ينظرون إلى الإنسان بارتياح مستمر وكأنه عدو. يغشون في الحاجات التي يبيعونها» (المصادر نفسه: ١٠٣-٨٠٤). ولعل من الطريف الإشارة إلى أنّ مصطلح التخلف برز «بعد نهاية الحرب الكونية الثانية مع حصول عدد كبير من البلدان المستعمرة على الاستقلال. وذاع استعماله وكثرت الكتابات حوله ابتداء من الخمسينيات. وتجمعت خلال خمس عشرة سنة آلاف المقالات والأبحاث حول موضوع التخلف» (حجازي، ٢٠٠٥: ١٩). حينما يسمع أحدٌ لفظة البداوة، يخطر بباله فوراً صورة البدوي الذي يجوب الصحراء بناقته حاملاً معه سيفه وزاده. بينما يتراءى لنا حينما نسمع عن معنى الحضارة، كل ما هو حضاري وثقافي، ومتطور، وجميل وأنيق ومريح من بناء، وعمارات، وشوارع، ومؤسسات ثقافية ودينية واجتماعية وإنسانية راقية تدفع بالإنسان نحو الرقي والرفعة. يرى بيتر أنّ الشرقيين بدائيون ولا يستطيعون أن يحسنوا شيئاً، وهم أيضاً أغبياء:

«قال بيتر لنفسه:

- مادام الأمر يتعلق بالدهاء فسوف يرى هؤلاء البدائيون كيف أحم لا يحسنون شيئاً. صحيح أحم الآن يكابرون، لكن حين يسقطون على رؤوسهم سيدركون قواعد اللعبة، وعندها يدركون كم كانوا أغبياء» (منيف، ١٩٩٠: ١٠٥).

إنّ ازدياد الذي يوجهه الاستشراق إلى الشرق يخدم في وقت واحد إلى تشكيل سيادة الغرب. فالعاطفية والحماسة، والبدوية، واحتكار سلطة الشرق؛ تجعل الغرب أن تتميز بالعقلانية والديمقراطية والتقدمية والخ... الغرب دائماً هو المركز، والشرق هو آخر هامشي، ولا تعزز مركزية وتفوق الغرب إلا من خلال وجود الشرق. ولا يتوقف وصف بيتر عند هذا الحد، بل يشمل طبيعة الشرق وحيواناته أيضاً. فهو يعتقد أنّ هذه القذارة والسرية والتلون، لا

تقتصر على الإنسان الشرقي بل يتعداه إلى طبيعته. هو يسخر من كل شيء في الشرق حتى الحيوانات ويرى أنّ الحيوانات في الشرق هي أيضاً كأصحابها:

«الحياة الشرقية أيضاً مليئة بالقذارة والسرية والتلون. ولا يقتصر الأمر على البشر وسلوكهم بل يتعداه إلى الطبيعة.. أما الحيوانات، فأقل ما يقال عنها إنّها حيوانات شرعية، كسولة، بليدة، بطيئة الحركة، وعديمة الاستجابة» (المصدر نفسه: ١٦٤ - ١٦٨).

وقد افترض الاستشراق «أنّ الشرق ثابت على الدوام ولا يتغير، ويختلف بشكل عام عن الغرب، وبالتالي يتم رسم خط افتراضي بين "نحن" (البشر الغربي) و"هم" (البشر الشرقي). هؤلاء الآخرون في الاستشراق لديهم وجود غير نشط ولا يسعهم أن يحكموا أنفسهم ومن ثم يجب على الغربيين التحكم فيهم وتصريف شؤونهم وتعليمهم الحضارة والثقافة. الاستشراق يعتمد التعميمات الخاطئة ويلجأ إلى صوغ الكليشيهات ويقدم الآخر الشرقيّ مُشاكساً ومحّب الخصام، متكاسلاً، مؤمناً بالخرافات، مفتقراً إلى قوة الفكر، وبالتالي أصبحت هذه الميزات جزءاً لا يتجزأ من خصائص الشرق» (لاري، ١٣٩١: ٧٩). يرى بيتر أنّ الشرقي لئيم ومسيء والإساءة من طبيعته:

«نعم إنهم شرقيون، ولا يعرف الإنسان متى يلتقى منهم الضربة، إنهم لئام إلى درجة لا تصدق، ليسوا لئاماً فقط، إنهم يفعلون كل شيء من أجل الإساءة، وكأنّ الإساءة جزء من تكوينهم وحياتهم» (منيف، ١٩٩٠: ١٦٣).

يعتقد إدوارد سعيد بأنّ «الأوروبي يُحكم الاستدلال الدقيق، وذكره للحقائق لا يشوبه أي غموض، فهو منطقي بالفطرة، حتى ولو لم يكن درس المنطق، وهو بطبيعته شكاك ويطلب البرهان قبل أن يقبل صدق أي قول، ودكاؤه المدرب يعمل عمل الآلة المنضبطة. أما عقل الشرقي فهو يشبه شوارعه الخلابة المظهر، أي يفتقر إلى أي تناسق، والاستدلال لديه أبعد ما يكون عن الإتقان، وعلى الرغم من أن العرب القدماء ارتقوا درجات عالية من العلوم الجدلية، فإن أحفادهم يفتقرون إلى ملكة المنطق افتقاراً فريداً، وكثيراً ما يعجزون عن التواصل إلى أوضح النتائج من أية مقدمات بسيطة قد يعترفون بصدقها» (سعيد، ٢٠٠٦: ٩٤). ولا يكتفي المستعمر الغربي بهذا كله، بل يتابع عملية التشويه السلبي بقوله:

الآخر الشرقي من منظور الأنا الغربية ... (هادي نظري منظم و آخريين) ٣٠٩

«إنّ هؤلاء الشرقيين من التعقيد والبلاهة إلى درجة أنّهم لا يتكلمون أمراً من الأمور يسير في الطريق الصحيح، كما أنّهم قادرين على التخريب وخلق المتاعب لأنفسهم وللآخرين، نتيجة الأنانية وسوء التقدير، إضافة إلى الكسل والتشبث بالأساليب الشرقية البدائية. بكلمة واحدة: إنّهم يفعلون الشيء غير المناسب في الوقت غير المناسب» (منيف، ١٩٩٠: ٢٥٩).

هناك موضوع باسم التفكير نيابة عن الآخرين؛ يفكر الأنا أو الغرب في هذه الرؤية بدل الآخر ويتكلم مكانه، وهو في موقف يستطيع أن يضع نفسه مكان الآخر. هذه الرؤية تتجاوز مستوى الكلام للآخر الشرقي ويقرر نيابة عنه. الشرق هو الدين والروحانيات، الماضي والحاضر، الشبق والغيرة. ولكن السمة الرئيسة التي تطبع حياة الشرقيين عند بيتر هي الكسل:

«حين كنا نلتقي في العاصمة، أكد لي أنّ كل شيء متيسر للفلاحين، ما عليهم إلا أن يعملوا، لكن الكسل والرغبة في السرقة وصفات أخرى رديئة أصبحت جزءاً من حياتهم، وبالتالي فهم يفضلون أن يبقوا بهذا الشكل على أن يعملوا» (المصدر نفسه: ٣٤٠).

ويرى هومي بابا أنّ المواجهة بين المستعمر والمستعمّر تؤثر دائماً على كلا الجانبين، والاستعمار يخلق تجربة مريرة من الهامشية مع التشريد والتآكل المستمر. يعتقد بابا بأنّ «سلوك المستعمر هذا ينم عن عزمٍ على التشييء، والتقييد، والحبس، والقسوة. فعبارة مثل أعرفهم وتلك هي حالهم، تُبين هذا التشييء الأقصى وقد تحقق بنجاح» (بابا، ٢٠٠٤: ١٧٢). يصف بيتر أنّ هؤلاء الشرقيين أغبي ومتحجرو الفؤاد:

«لا تتعرض يا بيتر لامتحان من هذا النوع مع هؤلاء الشرقيين، إنّهم في لحظات العناد أغبي من الحيوانات وأقسى من الحجارة.» (منيف، ١٩٩٠: ٣٥٠). وفي هذا الكلام نجد شيئاً من التفاعل القسري بين المستعمر والمستعمّر، يميل إليه الأول تحقيقاً لمصلحه في المستعمرات واحتفاظاً ببقائه هناك.

٤،٢،٢،١ بيروت الإيجابية

الشرق «موطن الحكمة، الشرق موطن المعرفة الأولى، الشرق علم العالم الحرف والرقم والدولاب، حتى قيل في أوروبا: إنّ كل معرفة يعود جذرها إلى الشرق» (دباغ، ٢٠١٦: ٦).

لعل من أبرز القضايا التي تناولها هومي بابا في أعماله هي قضية التفاعل بين المستعمر والمستعمر. رغم كل تلك الأوصاف السالبة، يعتقد بيتر أنّ بيروت مدينة رائعة، وكل شيء فيها يبدو طريفاً ورائعاً:

«لا بد أن أعود إلى هنا، وفي وقت قريب. إنّ بيروت مدينة رائعة. كل شيء فيها رائع: خاصة النساء» (منيّف، ١٩٩٠: ٩٢).

إنّ الكبت الجنسي الذي كان يعاني منه الغربي «جعل يصف الإنسان الشرقي بالشبق الجنسي، وذلك حتّى يجد له تفرّجاً ومنتقماً عمّا يكبته ويرغب فيه. ولعلّ أصدق دليل على ذلك ما كان يمارسه الرّحالة الأوروبيون من مُتّع جنسية في الشرق حينما يجدون الفرصة للتعبير عن هذا الكبت - الذي يعانون منه - خارج مجتمعاتهم وأهلهم» (شريف بموسى، ٢٠١٥: ١١). لكن إنّ الشرق في رؤية بيتر مدينة جميلة، والأشياء فيه تشير دهشته. فهو يصف فصل الربيع في بيروت، بأنّ الربيع شيء خارق، جميل؛ كأنّ طبيعة الشرق تعجبه ويريد أن يعيش فيه ويعتقد أنّ الربيع في الشرق يختلف عنه في الغرب. إنّ طبيعة الشرق وربيعة يدهش بيتر ويبهره. من هنا يقيم مقارنة بين حالة الربيع في فرنسا وبريطانيا وحالته في الشرق، ويفضل الربيع في الشرق ودفأ شمسّه:

«فصل الربيع هنا لا يمكن أن تخطئه روح الإنسان، حتى قبل أن تراه عيونته. إنّّه شيء خارق. يتفجر بشكل مباغت دون تمهيد أو إنذار... كل شيء يتبدل: رائحة الهواء، رائحة الأرض، شكل الطبيعة بأشجارها وأزهارها وطيورها وقراشتها، حتى الحشرات الصغيرة التي تبيض عميقاً في الأرض، تخرج إلى السطح فجأة، وتشارك في هذا المهرجان الغريب... في الأماكن الأخرى، في بريطانيا، وحتى في القسم الجنوبي من فرنسا، المحاط بالجبال والمعروفة بدفئه النسبي، يبدأ الربيع يعلن قدومه باحتفالات صغيرة متلاحقة: بتحسّن الهواء التدريجي، بطول النهار، بانقطاع الأمطار أو تباعد سقوطها، وأصبحت الشمس حارة، بدأ الربيع ظاهراً جميلاً كاملاً. هنا يبدأ الربيع هكذا، إنّّه انفجار مفاجيء، ولا يمكن للإنسان أن ينسأه أبداً. لا يمكن أن أنسى أيام الربيع في هذا الشرق أبداً! الشرق بكلمة واحدة: الشمس. الشمس هي إلهة الشرق، هي التي تكوّن كل شيء فيه» (منيّف، ١٩٩٠: ١٢٤ - ١٢٥).

٣,١,٤ بعد مغادرة بيروت

لقد حاول باحثو ما بعد الاستعمار من خلال تحليل الخطاب الاستشراقي، أن يظهرُوا أنَّ تمثيل الغرب للشرق كان ذا اتجاهٍ واحد، ومتمحوراً حول الذات (تلقائياً)، ومفيداً للغرب، وأنَّ صورة الشرق كان سلبياً وغير حقيقي، ومشوهاً. يسعى الغرب من خلال تقديم صور سلبية للشرق، إلى إنشاء هوية متميزة ومتفوقة له. إنَّ الشرق في رؤية الغرب هو مكانٌ للطغيان والكسل. أنظر إلى بيتر وهو يغادر بيروت:

«كان هدي الأول، وأنا أصل المدينة، بشوارعها المزدحمة، ببشرها الكسالى المتسكعين، بالضجيج الذي يصم الآذان،... أن ألتقي بالسفير، بالمستشار، بالناس الذي أعرفهم»
(المصدر نفسه: ٣٥٧).

إنَّ الصور التي قدمها الغرب من الشرق، لا يهتم إلى أي مدى تقوم على العمد أو الأحكام السابقة، فهي دائماً جزءٌ من هذا الخطاب المدمر. فقد بدأ الشرق فجأة في صورة من يفتقر، بصورة مؤسفة، إلى الطابع الإنساني؛ ومن يتسم بمناهضة الديمقراطية، وبالعدا، والتخلف. يأتي إدوارد سعيد في كتابه الاستشراق بهذه النماذج التي يصف بها الغربيون الدول الشرقية بالصفات السلبية وهو يقول: «وقد استخدم بلفور وكرومر عدداً كبيراً من هذه الخصائص عند الشرقيين، فالشرقي غير عقلائي، وفساد (ضال) ومثل الطفولة، ومتخلف؛ ومن ثم فإنَّ الأوروبي عقلائي، وفاضل، وناصح، وسوى» (سعيد، ٢٠٠٦: ٩٦) وهذا هو بيتر الذي يعتقد أنَّ الشرقيين في حالة التعقيد والغموض، وفي وصفه للمجتمع؛ الشرق مستودع التناقضات، تناقضات من جميع الأنواع والمستويات، العصور الحجرية إلى جانب العصور الحديثة، أكثر النظريات تخلفاً إلى جانب أكثر النظريات تطرفاً وحدائثاً، أقصى حالات الشجاعة الفردية إلى جانب أقصى حالات الفوضى:

«والآن... رغم العدا الذي لا يمكن أن أنساه أو أتنازل عنه، أشعر أنَّ هؤلاء الشرقيين يتمتعون بمقدرة خارقة على العناد، ولا أقول الذكاء» (متيف، ١٩٩٠: ٣٩٠).

يعتقد سعيد أنَّه في صورة الشرق من الغرب، يعتبر الشرق سلبياً تماماً، وفي هذه المواجهة المزدوجة بين الشرق والغرب، «يتم إدخال الغرب بخصائص الوعي والدينامية والعقلانية والديمقراطية

والوعد. ويعرف الشرق من خلال عناوين بالمشاعرية والركود، والتفاسل، البدائية، والامتناع والاستبداد. في هذه المواجهة الثنائية، يقع الشرق على القاع والتمهيش، ويعتبر الغرب سلالة متفوقة ومحوراً ومركزاً» (كولاي و بازوكى زاده، ١٣٩٠: ٧٠). وبتعبير آخر، كان الغرب هو الذي يحكم، هو شاهد العصر، يقدم نفسه، ويقدم رؤيته عن الآخرين. فهو العين التي تنظر وتحكم.

٥. نتائج البحث

من أهم النتائج التي وصل إليها البحث يمكن الإشارة إلى ما يلي:

١. الأنا الغربي قبل وصوله إلى الشرق ذات نظرة سلبية ونمطية إلى هذا المكان. ولكن بعد وصوله يظهر عنده شيء من أمارات التغير، لكن الصفات السلبية للشرق هي الغالبة نظراً لما هو مألوف بين أهل الغرب من تشويه سلمي ونظرة فوقية.
٢. من خلال دراسة الرواية، يمكن القول إنَّ معظم العناصر ما بعد الكولونيالية موجودة فيها؛ كثنائية وجدلية الشرق والغرب، والهوية، والتخلف، والثقافة والتعميم أو الجنس والمرأة. ولكن المكون الأكثر استخداماً في الرواية هو ثنائية الشرق والغرب.
٣. فالجدير بالإشارة هنا، إلى أنَّ منيف الراوي يريد من خلال روايته هذه تقديم الفكرة أنَّ الغرب لا يزال هو السيد والحاكم والشرق هو العبد والمحكوم ولا يعطى صوتاً كى يعبر عن نفسه. فيما يبدو أنَّ التعابير والأوصاف التي يستخدمها الغرب ضد الشرق أمثال الشرق الدنيء، والمتخلف، والوحشي، والبدوي مقابل الغرب المتفوق، والمتقدم، يكشف لنا عن رؤية منيف النقدية والتي راحت تكمن وراء مثل تلك التعابير. ولربما يريد منيف القيام بنقد الشرق اخذاً نقاباً غريباً وأنَّ صوت الأنا الغربي شرقيُّ الاصل في حقيقة الامر.
٤. نظرة الغرب إلى الشرق دائماً نظرة فوقية، واستعلائية، ومتفوقة، بينما الشرق دائماً يوصف بالعناد، والتخلف، والوحشية، والجنون والبداءة والهمجية.
٥. كنا نتوقع أنَّ الغربي المسافر إلى الشرق يريد التواصل مع الشرق والتحدث مع أهله مباشرة ولكن لا نرى أي حوار مع هؤلاء، وليس هناك أي توازن فيما يطلق ويتخيل تجاه الشرق. فلا مجال للمستعمر لكي يتكلم.

الأخر الشرقي من منظور الأنا الغربية ... (هادي نظري منظم و آخرين) ٣١٣

٦. كما أسلفنا؛ هذه الرواية تروى على لسان بريطاني مسافر إلى الشرق، ليؤدي مهمته هناك ومهمته تحقيق الثروة في المنطقة، والسيطرة عليها، والوصول إلى النفط، وكذلك الإطاحة بنظام الدكتور مصدق. ولكن ليست هناك دلالة لإيران في الرواية. والراوي في الرواية المبحوثة غائب أي إنّه عالم بكل شيء ويعلم حتى سرائر شخصياته وما تخفيه.

٧. إنّ منيف يصور دونية الغرب الإمبريالي الذي قد هجم على الشرق وهيمن على ثرواته الطبيعية والالهية، وفي الوقت نفسه يصور مشاعر الغرب العدائية تجاه الشرق العريق.

٨. تكثر في رواية سباق المسافات الطويلة صور الاستعمار، وتمتد لتشمل نهب الآثار والاستيلاء على المخطوطات، كما تشير إلى جهل أهل المنطقة، وإلى عدم معرفتهم بالفوائد العلمية التي قد تعود بذلك على البلاد، حتى أنّ الغرب يرى أنّهم ليسوا أهلاً لامتلاكها.

الهوامش

الف: نبذة عن حياة عبدالرحمن منيف الأدبية

لد عبد الرحمن منيف «في مدينة عمان - الأردن عام ١٩٣٣ لوالد سعودي من نجد وأم عراقية. حصل عام ١٩٦١ على شهادة الدكتوراة في العلوم الاقتصادية، وفي اختصاص: اقتصاديات النفط/ الأسعار والأسواق» (القاسم، ٢٠٠٥: ١٩). يقول شاعر النابلسي عنه: «شخصية عبدالرحمن منيف لا تنتمي سياسياً وثقافياً - وربما ايدئولوجياً - إلى أى مجتمع اقليمي عربي أو إلى أى نظام عربي اقليمي. فهو ليس بالأردني، علماً بأنه ولد في الأردن. ومن هنا جاءت لغته الروائية، لا تنتسب إلى اقليم عربي معين، خاصة عندما يلجأ في بعض الأحيان إلى استعمال اللغة العامية في الحوار» (النابلسي، ١٩٩١: ٢٢). من أهم رواياته: الأشجار واغتتيال مرزوق، وشرق المتوسط، وحين تركنا الجسر، والنهايات وسباق المسافات الطويلة وخماسية مدن الملح. حصل منيف على «جائزة الرواية العربية في المؤتمر الأول للرواية الذي نظّمه المجلس الأعلى للثقافة في مصر، إضافة إلى عدد من الجوائز الأدبية الأخرى. وقد ترجمت معظم كتبه إلى خمس عشرة لغة، كالإنكليزية والألمانية والنرويجية والإسبانية والتركية والفرنسية وغيرها» (عبدالجبار دريدى، ٢٠١٠: ٧).

ب: بيتر ماكدونالد

هو الشخصية الرئيسة في هذه الرواية. (مبعوث بريطانيا إلى بلد شرقي). في الحقيقة تروى الحكاية على لسان هذا الشخص، لأنه يلعب دوراً مهماً في الرواية. تمثل شخصية ماكدونالد في الرواية أتمودجاً للأساليب اللاأخلاقية التي اتبعها البريطانيون للمحافظة على مصالحهم المهددة من القادمين الجدد إلى المنطقة (الأمريكيين). إنه إنجليزي متعجرف متملىء بالاستعلاء والشعور بالتفوق الحضاري والعرقى. إنه مدمن على الكحول ولا يشفى حزنه إلا تناول الكأس: «قال بيتر لنفسه: أن كأساً من الويسكي الآن تقتل الأحران والسأم، ويجب أن أتناول هذه الكأس» (منيف، ١٩٩٠: ٤٢). وجاء في الرواية في وصف شخصية ماكدونالد على لسان راندلي: «نحن بحاجة ماسة إليك، عليك أن تضع لنا السياسة التي يجب أن نتبعها هناك. لقد أصبحت يا بيتر واحداً من أكثر الخبراء أهمية بالنسبة لهذه المنطقة، إننا نعتمد عليك تماماً، وأنت الذي تستطيع أن تقدم آراء واقتراحات صائبة... يجب أن تتمتع بمرونة إضافية لكي تستطيع الوصول إلى نتائج أفضل، نحن نقدر جميع الملاحظات التي وردت منك، وسوف تكون موضع اهتمامنا ودراستنا، لكن المهم في هذه المرحلة أن تكون أكثر دقة في تنفيذ التعليمات» (المصدر نفسه: ١٥٥).

ج: راندلي

البريطاني الآخر ورئيس بيتر الذي يلعب دوراً بارزاً في تسيير أحداث القصة. تمثل شخصية راندلي أتمودجاً للشخص الذكي والعبقري في إثارة أحاسيس بيتر وعواطفه ورغباته وأفكاره، حيث إنه يصدر الأوامر اللازمة من قبل لندن للوصول إلى الأهداف المتوقعة والمطلوبة مستعيناً باستخدام الموظفين والوكلاء الذين تم اختيارهم من تلقاء أنفسهم.

المصادر والمراجع

العربية

- أحمد، مرشد. (١٩٩٨م). المكان والمنظور الفني في روايات عبد الرحمن منيف، ط ١، حلب: دار القلم العربي.
- بابا، هومي. (٢٠٠٤م). موقع الثقافة، ت: نائر ديب، ط ١، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

الآخر الشرقي من منظور الأنا الغربية ... (هادي نظري منظم و آخرين) ٣١٥

برهم، لطفية. (٢٠٠٨م). «أطياف الآخر وتشظي الهوية قراءة في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي»،
مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، اللاذقية - سورية، العدد ١، (صص ٥٣ - ٦٩).
بعلي، حفناوي. (٢٠٠٧م). مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، المنطلقات، المرجعيات،
المنهجيات، ط١، الجزائر: الاختلاف.

الجابري، محمد. (٢٠٠٠م). «الغرب والإسلام»، مجلة العربي، الكويت، العدد ٥٠٣.

حجازي، مصطفى. (٢٠٠٥م). التخلف الاجتماعي، ط١، المغرب: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

حمداوي، جميل. (٢٠١٥م). نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، (د. ط)، المغرب: مكتبة
المتقف العربي.

حنفي، د. حسن. (١٩٩١م). مقدمة في علم الاستغراب، (د. ط)، القاهرة: الدار الفينة.

الدباغ، ضرغام. (٢٠١٦م). الشرق في عيون الغرب، ط١، عمان - اردن: الأكاديميون للنشر والتوزيع.

رضوان، عمرين ابراهيم. (١٩٩٢م). آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، ط١، الرياض: دار
طبية.

روبنسون، دوغلاس. (٢٠٠٩م). «الترجمة والإمبراطورية: الدراسات ما بعد الكولونيالية»، دراسات الترجمة،
ت: نائر ديب، مجلة نزوى. العدد ٢٠.

سعيد، إدوارد. (٢٠٠٦م). الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء، ت: نائر ديب، ط١، بيروت:
مؤسسة الأبحاث العربية.

شريف بموسى، عبدالقادر. (٢٠١٥م). «الشرق بمنظار الغرب: كتابات الرحالة الأوروبيين أنموذجاً»، مجلة
فكر الثقافية، العدد ١٢.

عبد الجبار دريدى، محمد. (٢٠١٠م). النص الموازي في أعمال عبد الرحمن منيف الأدبية، (د. ط)،
فلسطين: جامعة النجاح الوطنية في نابلس.

عتيق، مديحة. (٢٠١٥م). «ما بعد الكولونيالية: مفهومها، أعلامها، أطروحاتها»، الجزائر: جامعة سوق
أهراس.

عماوي، إياد. (٢٠٠٧م). «الأنا والآخر ودورها في رسم وتحديد العلاقة بين الوطن العربي والغرب»،
فلسطين: جامعة القدس المفتوحة.

عنان، محمد. (١٩٩٧م). المصطلحات الأدبية الحديثة. ط٣، القاهرة: الشركة المصرية العالمية.

كامل كعيد، م. د اشراق. (٢٠١٦م). «تجليات صورة الآخر في كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد». مجلة
كلية العلوم الاسلامية، العدد ٤٦، جامعة البغداد.

كرم، سرجون. (٢٠١٠م). «الشرق في الأدب الألماني في القرن التاسع عشر - تراجيديا المنصور نموذجاً:
عندما يكون العربي قناع اليهودي في معاناته»، مجلة منبر ابن رشد، العدد ١٠.

٣١٦ آفاق الحضارة الإسلامية، السنة ٢٣، العدد ١، ربيع و صيف ١٤٤٢ - ١٤٤١ هـ.ق

المخادين، عبدالحميد. (١٩٩٩م). التقنيات السردية في روايات عبدالرحمن منيف؛ دراسة أدبية، ط١، بيروت: المؤسسة العربية.

المقالم، عبدالعزيز. (٢٠١٧م). الشرق شرق والغرب غرب لن يلتقيا، د.ب، دار الخليج: مركز الخليج للدراسات.

منيف، عبدالرحمن. (١٩٩٠م). سباق المسافات الطويلة، ط٤، بيروت: المؤسسة العربية.

النابلسي، شاكر. (١٩٩١م). مدار الصحراء دراسة في أدب عبدالرحمن منيف، ط١، بيروت: المؤسسة العربية.

وحيد، عمران. (٢٠٠٤م). «تاريخ الاستعمار الغربي في الشرق الأوسط (٢)»، السنة ١٨، العدد ٢٠٢، كانون الثاني.

الفارسية

پور طباطبائي، سيد محمد. (١٣٨٩ش). «شرق شناسی، مفهوم و تاريخ»، فصلنامه تخصصي تفسير، علوم قرآن وحديث، س ٢، ش ٥٦، (صص ٦-٢٧).

روشنگر، كبرى وآخرون. (١٣٩٥ش). «تقابل الحضارات بين الأنا والآخر في رواية "واحة الغروب" لبهاء طاهر»، فصلية إضاءات نقدية، السنة ٦، العدد ٢٣، (صص ٢٩ - ٤٩).

كولايي، الهه، وزهرا پازوكي زاده. (١٣٩٠ش). «ادبيات پسااستعماري در هندوستان و نقش آن در شكل گيري هويت نوين هندي»، فصلنامه مطالعات شبه قاره، دوره ٣، شماره ٨، (صص ٦٥ تا ٨٢).

لاري، مريم. (١٣٩١ش)، «نقدنامه هنر: نقد پسا استعماري هنر»، ش ٣، طهران: موسسه نشر.

موتقي، سيد احمد. (١٣٧٤ش). جنبش اسلامي معاصر، ج ١، طهران: سمت.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

دیگر شرقی از دیدگاه من غربی در رمان سباق المسافات الطویله نوشته عبدالرحمن منیف

هادی نظری منظم*

کبری روشنفکر**، محمد رجبی***

چکیده

در دهه ۱۹۸۰ میلادی رویکردی جدید ظهور کرد که به تحقیقات فرهنگی و سیاسی و تاریخی اهتمام می‌ورزید و با حضور در عرصه‌های علمی، رویکرد تازه‌ای را برای رفع موانع مجازی در بین آن تحقیقات گشود و بعدها رویکرد پسااستعماری نامیده شد. بدون شک، شرق و غرب از عناصر اصلی گفتمان پسااستعماری به شمار می‌آیند و در همین راستا تقابل میان شرق و غرب اگر چه اساس جغرافیایی نداشته باشد ولی تقابل تمدنی دارد. رمان سباق المسافات الطویله (ماراتن بی‌پایان) ششمین رمان از بین رمان‌های عبدالرحمن منیف محسوب می‌شود که مسائل انسانی و جامعه عربی و آثار بعد از استعمار را بررسی می‌کند، به طوری که نویسنده به چیرگی غرب بر کشورهای شرقی و دست‌یابی به منابع نفتی این کشورها اشاره می‌کند و استراتژی غرب نسبت به شرق را به تصویر می‌کشد. این جستار با روش توصیفی - تحلیلی و از طریق خوانش پسااستعماری رمان یاد شده درصدد است تا به تبیین ایدئولوژی قدرتمند استعمارگر غربی به شرق، و رویکرد و توصیف غرب در مواجهه با شرق، و بی‌اعتنایی و عدم ارزش‌گذاری نسبت به شرق بپردازد. از مهمترین نتایج این پژوهش می‌توان به ادامه روند سیاه‌نمایی نسبت به "دیگر" شرقی، و تلاش جدی "من" غربی برای غارت ثروت‌های شرق و گسترش سیطره خود بر آنها، عاری از هرگونه پیامد مثبت و سازنده و فرهنگ‌سازی معمول بر مبنای احترام و عدالت، اشاره کند.

کلیدواژه‌ها: پسااستعماری؛ شرق؛ غرب؛ عبدالرحمن منیف؛ سباق المسافات الطویله.

* دانشیار دانشگاه تربیت مدرس، تهران، hadi.nazari@modares.ac.ir

** دانشیار دانشگاه تربیت مدرس، تهران، kroshan@modares.ac.ir

*** کارشناس ارشد دانشگاه تربیت مدرس (نویسنده مسئول)، mohammadrajabi19927@gmail.com

تاریخ دریافت: ۱۳۹۸/۱۲/۰۱، تاریخ پذیرش: ۱۳۹۹/۰۳/۱۸